العلاقة بين الاستشراق والاستعمار (الاحتلال)

الأستاذ/ بندر مفلح علي المهيني الشمري

كلية العلوم الإسلامية

قسم الدعوة وأصول الدين

جامعة المدينة العالمية– ماليزيا

الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي الطنطاوي

بقسم الدعوة وأصول الدين

بجامعة المدينة العالمية– ماليزيا

المستخلص

لا يمكن حصر العلاقة لأهداف ودوافع الاستشراق من خلال خدمتهم ومساعدتهم للاستعمار (الاحتلال)، وكما أنَّ مفهوم الاستعمار هو عمارة الأرض، ولكن هذا الاستعمار يبنى بعد احتلال الأرض والاستيطان بها، ثم نرى عمارة الأرض بالاستعمار، ولكن هذا الاستعمار يتمحور بأسلوب وأهواء المحتلين بما يوافق أهدافهم ودوافعهم، والهدف الرئيسي للمستشرقين محاولاتهم الحثيثة في إيجاد وسائل وسبل إلى التبشير، فاتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم ونزواتهم؛ فكانت الغاية معرفة ديموغرافية العالم الإسلامي في محاربته وتشويهه، والحديث في ذلك الارتباط المستمر في العلاقات الوطيدة من خلال ارتباطهم بالاستعمار التنصيري والاقتصادي، وفي مجال التعلم والتعليم، والإعلامي المرئي والمسموع، وفي محاولاتهم تضييق الاختلاف بين الإسلام والمسيحية للتوصل إلى التقارب بينهما، فالاستشراق ما هو إلا صورة مستنسخة من الاستعمار، ومشاركًا له في جميع العمليات التي تصبو للهيمنة على العالم الإسلامي، فطرح الدوافع والأهداف شغلت الكثير من المستشرقين في إنجاز أفكارهم الملتوية في التعمق في العلاقات بين المشرق والمغرب، حتى تنحصر هذه الأهداف لتكوين أرض خصبة للاستعمار، وبذلك اتضحت الرؤية بأن هناك صلة قوية ومتسلسلة ومتناسقة ومتجانسة بين الاستشراق والاستعمار والتبشير، "ومن هذا يتضح أنه قد كان هناك تجاوب متبادل بين الاستشراق والتنصير؛ إن لم يكن هناك تماثل في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي. ويمكن القول بأن التحالف بين الجانبين لا يزال مستمرًّا بشكلٍ من الأشكال حتى العصر الحاضر"[(١)]، ومدى قوة الاستشراق والاستعمار في تمهيد الغزو وتمزيق الأمة الإسلامية.

الكلمات الدلالية: العلاقة- المستشرقين- الاستشراق- الاستعمار- الاحتلال.

(١) زقزوق، محمود حمدي، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، (القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت)، ص٣١.

Abstract

The relationship cannot be limited to the aims and motives of Orientalism through their service and assistance to colonialism (occupation). The concept of colonialism is the building the land, but this colonialism builds after occupying and settling in the land. Then colonialists build the land after snatching it, but this colonialism comes in the style and desires of the occupiers to achieve their goals and motives. The main goal of the orientalists is their relentless attempts to find ways and means to preach, taking Orientalism as a means to satisfy their desires and whims. The goal was to know the demography of the Islamic world so that they fight and distort it. They have strong and close relations and association with the evangelical and economic colonialism. They fight the Muslims in the fields of learning and education, the audiovisual media, and their attempts to narrow the difference between Islam and Christianity to reach a rapprochement between them. Orientalism is only a reproduced form of colonialism, and shares it in all the processes that aspire to dominate the Islamic world. The introduction of motives and goals preoccupied many orientalists so that they factualize their twisted ideas in deepening the relations between the East and the West. They strenuously tried to create a fertile ground for colonialism. Thus, it can clearly be seen that there is a strong, sequential, consistent and homogeneous link between Orientalism, colonialism and evangelism. There is a reciprocal response between Orientalism and Christianization even if there is no similarity in intent between the academic Orientalist and the Evangelist missionary. It can be said that the alliance between the two sides continues in some form until the present era, and the extent of the power of Orientalism and colonialism in paving the way for the conquest and dismemberment of the Islamic nation.

Key Words: relationship, orientalists, orientalism, colonialism, occupation

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم إلى يوم الدين، لقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ بالرسالة الخاتمة، لإبلاغها إلى الناس كافة، وإخراجهم من ظلمات الجهل والفرقة والشقاق إلى نور الإسلام، ووحدة الأُمة تحت عقيدةٍ واضحةٍ صحيحةٍ، فأدى الرسولُ ﷺ الأمانة كاملة، ونصح لهذه الأمة، وتركها على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وحمل الصحابةُ رضوان الله عليهم لواء الوحدة من بعده ومن سار على نهجهم القويم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

أمَّا بعدُ؛ فإنَّ حقيقة الاستشراق تكمن في تحقيق غايات وأهداف المستشرقين من خلال توضيح علاقتهم مع الاستعمار، وأنَّ الاستشراق قد نبع من الحضارة الغربية الغالبة في العصر الحاضر، ولا شكَّ أن النزعة الاستعمارية تساهم في تمحور الدوافع الرئيسية للاستشراق، وبلوغ الغايات في نشأة الاستعمار واتجاهاته في العالم الإسلامي. ومن المعلوم أن ما يريده المستشرقون يرتكز حول معرفة الارتباطات والأساسيات القويمة التي تجمع الأهداف والمجالات والطرق المؤدية إلى هذا الاستعمار، وتكوين لبناته القوية لترسيخها من خلال الافتراضات والشائعات والشكوك والظنون للسيطرة الكاملة، حتى يتسنى لهم تحقيق مرادهم، ومن المعلوم أنَّ أشكال الارتباط والتعاون المشترك بين الاستشراق والاستعمار قد انطوتْ في صورٍ متعددة ومتنوعة بكل مجالاتها من خلال تقديم الخدمات المباشرة والغير المباشرة، وتقديم المعلومات للدول الغربية في سبيل الاستعمار والاستيلاء على ثروات وخيرات البلاد المسلمة، "كان المستشرقون الفرنسيون يدرسون الشرق من إطار الاكتشاف السياسي، ومن

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٤.

الاكتشاف الاقتصادي للعالم العربي. وبدأ التفكير في فتح الأسواق الجديدة في إطار من السيطرة الأوربية على القارات المنسية"[١].

مشكلة البحث:

خلال هذا البحث أودُّ أن أطرح العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، وما هي الدوافع التي جعلت من المستشرقين أداة خدمية للاستعمار؟ ومدى استفادة المستشرقين في توفير كل ما يريده المستعمر من خدمات، وذلك بُغية الاستحواذ والتمكين على ثروات المسلمين، ومعرفة أن الاستشراق المتجدد في العصر الحاضر لا يقل عمَّا قبله، فهو يقوم ويتبلور على نظرةٍ متجددة من حيث الدراسات والبحوث لتحقيق أهداف ونتائج مثمرة له، وعلى هذا يتم طرح السلبيات لهذه المجريات المتسارعة وتوابعها المؤلمة.

أسئلة البحث:

الأسئلة التي تدور حول البحث هي كالآتي:

١- ما هي أهداف الاستشراق والمستشرقين حول الاستعمار؟

٢- ما هي سلبيات الاستشراق وخطره من خلال استهداف العالم الإسلامي؟

٣- ما الذي حققه الاستشراق من خلال علاقته بالاستعمار؟

أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

١- توضيح علاقة الاستشراق في استعمار العالم الإسلامي.

٢- تحديد عرض لأهداف المستشرقين التي دارت حول الاستعمار، وفضح أهدافهم السيئة حول الإسلام والمسلمين.

٣- عرض الكثير من السلبيات للمستشرقين التي نتجت وتحققت للمستعمرين، وبيان خطورتها على الإسلام.

---

(١) غالي، وائل، **ما بعد الاستشراق**، (د.م: دار الهلال، د.ط، ٢٠٠٧م)، ج١، ص١١.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلال التعرف على أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

١- توضيح أهداف الاستشراق والمستشرقين المتعلقة حول الاستعمار.

٢- أثر الأهداف السلبية المترتبة من الاستشراق لصالح المستعمر.

مصطلحات البحث:

المستشرقون في اللغة: مفردها مستشرق:

(شَرقَ): أَخذَ في ناحِيَة المشرِق[١].

(الإِشْراقُ): انبعاثُ نورٍ من العالم غير المحسوس إلى الذِّهن، تتمُّ به المعرفة.

اصطلاحًا: فكلمة (مستشرق) فيها من العموم الذي فيه من صفات العالم الغربي واتجاهاته، والخاص المتعلقة خصوصًا لجهة المشرق العربي المسلم، "أمَّا كلمة مستشرق فلها معنى خاص ومعنى عام؛ وفي معناها العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه. أمَّا المعنى الخاص فيراد به الذي يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجهٍ عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق"[٢].

وفي تعبير جميل لمعنى الاستشراق لأحمد غراب مفاده: "إنَّ الاستشراق دراسات ((أكاديمية)) يقوم بها غربيون كافرون -من أهل الكتاب- بوجه خاص للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخًا ونظمًا، وثروات وإمكانات بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب

(١) **المعجم الوجيز (معجم عربي- عربي، د. ط)**، ص٣٤٠.

(٢) فؤاد، عبد المنعم، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ص١٦.

عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[١].

ويرى الباحثُ أنَّه لا يمكن حصر الاستشراق بالدراسات الأكاديمية فقط، ويجب استخدام مصطلح الاستشراق دون أي تحديد أو تحفظ، بل نجد الاستشراق انتشر كثيرًا من المؤتمرات والندوات، وما بحث فيه الباحثون والسياسيون الغربيون في محافلهم ومؤتمراتهم، وأفكار وتوجهات وأهداف تعددية من المسلمين، وللعلم فإن الاستشراق تيار فكري متعصب يتجه صوب الشرق لفهم توجهاتهم الدينية لتشويهها.

الاستعمار: "(اسْتَعْمَرَهُ) في المكان: جعله يَعمُره، و-دولة دولة أخرى: فرضت عليها سيادَتها واستغلتها"[٢].

الاحتلال: "استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو جزء منها قهرًا"[٣].

الدِّراسات والبحوث السَّابقة:

التمهيد:

يتناول الباحث في هذا عرض الدراسات والبحوث السابقة التي لها صلة بالدراسة، ومن خلال اطلاع الباحث على علاقة المستشرقين بالاستعمار، ولقد تناول الاستشراق الأسلوب الغربي لمحاولة السيطرة على الشرق واحتلاله، وارتباط المستشرقين بالمستعمرين ارتباطًا وثيقًا بينهما في جميع النواحي والجوانب، ويعرض الباحث أهم الدراسات والبحوث التي تشبه الدراسة الحالية:

١- دراسة: (مطبقاني) وعنوانها "الاستشراق":

(١) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د. م: د. ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ص: ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) **المعجم الوجيز (معجم عربي- عربي، د. ط)**، ص٤٣٠.

(٣) **المعجم الوجيز (معجم عربي- عربي)**، ص١٧٤.

مشكلة البحث: أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية، وفي جميع مجالات الحياة: في السياسة والاقتصاد، وفي الأدب وفي الاجتماع[١].

أهداف البحث:

١- التعريف بالاستشراق والمستشرقين، ونشأته وتطوره، وأهدافه: الدينية والعلمية والاقتصادية والسياسية (الاستعماري).

٢- الهدف الثقافي.

٣- آثار الدراسات الاستشراقية: الآثار العقدية، والآثار الاجتماعية، والآثار السياسية والاقتصادية، والآثار الثقافية والفكرية[٢].

منهج البحث: تحليلي نقدي[٣].

نتائج البحث:

١- "أن يقوم الدعاة والعلماء المسلمون بواجب الدعوة؛ بنشر كل ما يتعلق بالإسلام في شتَّى جوانب الحياة.

٢- أن ندرس الاستشراق من خلال دراسة الفكر الغربي عامة"[٤].

ويرى الباحث في دراسته توضيح أهداف الاستشراق وعلاقته وارتباطه في المجال الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والفكري، والتي تستغل كل الوسائل والطرق المباشرة والغير مباشرة، والتغيرات التي حدثت، والسعي من أجل الرؤية الشاملة لمدى تأثير علاقة المستشرقين بالاستعمار على المجتمعات المسلمة.

(١) مطبقاني، مازن بن صلاح، **الاستشراق**، بحث، (السعودية: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، د. ط، د. ت)، ص١٦.

(٢) **الاستشراق**، ص٢.

(٣) **الاستشراق**، ص٢.

(٤) **الاستشراق**، ص٢.

٢- دراسة (مطبقاني) وعنوانها "المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق":

مشكلة البحث: الكيد الذي مارسه الاستشراق والاستعمار على المجتمع الإسلامي[١].

أهداف البحث:

١- موقف الاستشراق والاستعمار من الإسلام.

٢- تأثر الأخلاق والعادات من كيد الاستعمار والاستشراق[٢].

منهج البحث: وصفي تحليلي.

نتائج البحث:

١- التحرر من الاستعمار والعودة إلى الإسلام.

٢- تحقيق التعاون بين الاستعمار والتنصير في محاربة الإسلام.

٣- الأوضاع الاقتصادية وآثارها الاجتماعية.

ويرى الباحثُ في دراسته توضيح مدى الارتباط والتعاون المشترك القائم بين الاستشراق والاستعمار والتنصير لتحقيق أهدافهم المشتركة، وما لهذا الارتباط من الأثر الكبير على الأوضاع وخطورتها على المسلمين؛ من حيث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسلوكية والأخلاقية.

منهج البحث: هو المنهج الوصفي.

حدود البحث:

١- عزو الآيات إلى سورها وأرقامها.

---

(١) مطبقاني، مازن بن صلاح، **المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق**، بحث، (السعودية: المعهد العالي بالمدينة المنورة، د. ط، د. ت)، ص٥.

(٢) **المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق**، ص٨.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها، مع بيان الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث.

٣- إذا كان الكلام التوضيحي مني فقد جعلته بدون أقواس، وما كان من أقوال أهل العلم فيكون في الأقواس وفيه الإشارة إليه في الهامش.

٤- الخاتمة.

٥- وضع نتائج للبحث.

٦- عمل فهرس للمصادر والمراجع للبحث.

تقسيمات البحث:

مبحث: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار (الاحتلال).

المطلب الأول: ارتباط الاستشراق بالاستعمار.

المطلب الثاني: ارتباط الاستشراق بالتنصير.

المطلب الثالث: ارتباط الاستشراق بالاقتصاد.

المطلب الرابع: ارتباط الاستشراق بالمجال التعليمي والعلمي.

المطلب الخامس: ارتباط الاستشراق بالمجال الإعلامي.

المطلب السادس: الاستشراق ومحاولة تضييق الاختلاف بين الإسلام والمسيحية.

المبحث الأول: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار (الاحتلال)

التمهيد:

إنَّ دراسة الشرق هو الاهتمام الكبير بالشرق وحضارته العريقة وتاريخه العظيم، وإن النزعة الاستشراقية من الدول الغربية لها صدى في إيجاد الطبيعة الاستعمارية للاستشراق التي لها أهداف توجهية لفصل الشرق عن باقي دول العالم؛ وذلك بُغية تفتيت وتفكيك دول العالم العربي، حتى يتمَّ ترسيخ التقاليد والعادات الدخيلة على دول العالم الإسلامي، لتحمل طابع الغرب وتلزم الشرق ودوله بها. ومن أهدافهم في المجتمعات المسلمة كخدمة الاستعمار والغزو الفكري والثقافي من خلال الضرب المباشر أو شبه المباشر لمقومات المسلمين دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا: "الاستشراق: تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين؛ شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضاراتهم، وكل ما يتعلَّق بهم. وكان هدفهم الأساسي دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، لخدمة أغراض التبشير من جهةٍ، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهةٍ أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأُمَّة الإسلامية"[(١)]، وبسط نفوذهم على دول العالم الإسلامي من خلال توجيه التنصير وأهدافه، ويدور هذا البحث في مجال رئيسي جوهري حول العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، والارتباطات التي تدور حولهما، وفيه:

المطلب الأول: ارتباط الاستشراق بالاستعمار:

إنَّ المتطلع إلى سيرة الاستشراق ليرى أنهم نشئوا مباشرة بعد هزيمة الغرب في حروبهم الصليبية ضد المسلمين، مما دعاهم إلى دراسة المشرق العربي وعلوم المسلمين؛ بغية الوصول إلى وجود الثغرات المتواجدة فيهم من قوة لإيجاد السبب لإضعافها، أو وجود الضعف فيهم

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير– الاستشراق– الاستعمار**، (دمشق: دار القلم، ط٨، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ص٥٣.

لإيجاد السبل إلى استغلالها أفضل استغلال لخدمة الاستشراق والاستعمار، وبعد ذلك استيلاء المستعمر على البلدان المسلمة مما جمع نفوذ وقوة المستشرقين لتوجيه المستعمر وتقويته في استحلاله للدول؛ محاولين بذلك وهن عزم المسلمين على الجهاد ودفعهم، ومن واقع الدول المراد استعمارها في جمع طبيعة وعادات وأديان سكانها، وكان الارتباط القوي بين الاستشراق والاستعمار زراعة وصناعة عملاء يتوغلون في بلاد المسلمين، أو ابتعاثهم إلى بلاد الغرب وتلقينهم ما يدعو إليه المستشرقون.

ولا بدَّ أن نعي أنَّ الاستشراق فن من فنون الاستعمار والاستحلال: "ومنذ دخل الاستعمار العالم الإسلامي في العصر الحديث، وسيطر بالاحتلال على البلاد الإسلامية، كان أول مسعاه أن يبدل هذا النظام القانون الإسلامي بالقانون الوضعي الغربي"[(١)]، فالاستشراق مرتبط ارتباطًا موثقًا وصريحًا بالاستعمار واحتلال الدول، ومن ذلك التاريخ؛ إذ بدأ الاستشراقُ في حينه في دراسة واستحواذ الفكر الإسلامي من جميع جوانبه الدينية والمعرفية، والعلمية، والسياسية والاقتصادية، "وبخاصة الاستعمار البريطاني والفرنسي منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم بالاستعمار الأمريكي حتى الآن. فمتى توسع الاستعمار توسعت الدراسات الاستشراقية، "يقول روبير منتران: بولادة القرن العشرين، ظهر تحول في الاستشراق الفرنسي، فقد سمح إنشاء المدرسة العلمية (التطبيقية) للدراسات العليا في باريس بتجديد المواد المتفرعة والمتخصصة، لا سيما على صعيد الدراسات الاستشراقية"[(٢)]، فالقاعدة التي لا تتخلف هي أنَّ الاستعمار يصحبه دائمًا

(١) الجندي، أنور، **سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية**، (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص١٠٢.

(٢) نصري، أحمد، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، (المغرب: دار القلم، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٣٠.

الاستشراق؛ إذ الارتباط بينهما ارتباط عضوي، وما من دولةٍ استعمارية غربية إلا ولها مؤسسات استشراقية"[١].

لقد كان للاستشراق أهمية كبرى في توسع وانتشار الاستعمار، والاعتماد عليه في تقريب الرؤى والأفكار التي تساعده في السيطرة عليهم، "وكلما توسع الاستعمار وتثبتت أقدامه كلما زاد اعتمادُه على الاستشراق كمؤسسة تابعة له، تسانده في إدارة الشرق الإسلامي وتسهل له إخضاعه"[٢]. وقد ثبت أنَّ الاستشراق تخصص استعماري؛ أي أنه تم إنشاؤه في حضن الاستعمار، وأن الاستشراق جهة منظمة معلوماتيًّا واستطلاعيًّا في تداعياته وإنتاجاته؛ سياسيًّا، وعسكريًّا، واجتماعيًّا وعلميًّا، وتعاونتْ قوى الاستعمار إلى هدف التبشير، وتقليص دور الإسلام وانتشاره، واستضعاف والهيمنة والتسلط على المسلمين في التشكيك والتشوية لعقيدتهم، والتقليل من شأنهم والازدراء بهم في المجمعات والمحافل الدولية الداخلية والخارجية، "فـ(الاستعمار يرى أن المفهوم الإسلامي السليم من شأنه أن يعطي المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره ... أمَّا التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، حتى لا يكون منازعًا أو منافسًا للمسيحية في البلاد التي يحاول أن يقوم بالتبشير فيها ... وبتتبع لما كتبه بعض الباحثين عن أعمال المستشرقين، وما يسعون لتحقيقه من مآرب، ومدى صلتهم بالاستعمار والتبشير"[٣]، فإنَّ الاستعمار التبشيري حطَّم ومزَّق اللحمة العربية الإسلامية في المجتمعات المسلمة، ولو تأملنا في قضية المستشرقين وماذا صنع الاستشراق؟ فهو الذي مهَّدَ وعبَّدَ الطريق للاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، وقدَّم كل الحيثيات والمعلومات والبيانات؛ محاولين بذلك تفتيت الأمة العربية، وكان من تحقيق أهداف

(١) فؤاد، عبد المنعم، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ص٢٣.

(٢) غراب، أحمد عبد الحليم، **رؤية إسلامية للاستشراق**، (د.م، د.ن، ط٢، ١٤١١هـ)، ص٤٢.

(٣) الزيادي، مُحَمَّد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص: ٧٧، ٧٨.

الاستشراق والاستعمار السيطرة على الشرق، "ولقد أشار جلادستور إلى هذه الحقيقة في قولته المشهورة: ما دام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون في أمان"(١)، وامتلاك ما تستطيع امتلاكه، وهذا ما قام به المستشرقون في تهيئة الأجواء للمستعمرين في إتاحة الفرص لديهم بالسيطرة على العالم العربي واستعماره، والانتفاع به سياسيًّا واجتماعيًّا وفكريًّا وتراثه العريق وثقافته الكبيرة.

لقد هدف الاستشراق إلى التمهيد للغزو والتمكين كغزو فكري وثقافي وعسكري؛ فالاستعمار يعتمد اعتمادًا كليًّا على الاستشراق؛ "تعدد أغراض المستشرقين وأهدافهم، بل ومنطلقاتهم التي ساروا منها لدراسة الإسلام والمسلمين بين الدينية والسياسية والاقتصادية والاستعمارية والعلمية النزيهة وغير النزيهة"(٢). وهذا ما ذكره واستشهد به كثيرٌ ممن عايشوا ودرسوا الاستشراق من أهل العلم، ومن هذه الأقوال:

١- "قال الدكتور مُحَمَّد عبد الفتاح عليان: من الملاحظ أنَّ الدول الغربية لما قويتْ في العصور الحديثة وبدأت تتطلع إلى استعمار الشرق، لعب الاستشراق دورًا هامًّا في هذا الانفتاح الغربي على الشرق، فلما أرادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاجتراف من تراثه، والانتفاع بتراثه والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة استعمارية إلى المستشرقين فيها، فضمهم الملوك إلى حاشيتهم كأمناء أسرار وترجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية، وأجزلوا لهم عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية ... فإنَّ الاستعمار الغربي مكَّن هؤلاء المستشرقين من الصولان والجولان في حرية تامة بالتجول بين

(١) نصري، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، ص٢.

(٢) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، **الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم**، (الرياض: مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، ص٢٥.

مكتبات الشرق، يسطون أحيانًا على مخططاتهم، أو يصورونها وينسخونها بحسب رغبتهم، وينبشون الآثار القديمة ويسلبون معظمها لتمتلئ بها المتاحف الغربية"(١).

إذًا فإنَّ الأساليب الماكرة للاستعمار قامتْ بتمكين الاستشراق والعنصر الرئيسي هو تفتيت وتشتيت وحدة وتماسك المسلمين، والتجييش إلى تفرقتهم والتقليل من شأنهم المترابط والازدراء بهم، وكان المخطط والنفوذ الاستعماري القضاء والاستبداد على مقدمات ومقومات الفكر الإسلامي التي تحاول مقاومة الاستقلالية، وواصل الاستعمار السعي والتعاون مع البعثات الاستشراقية وما ينتابه أثر هذه البعثات بالفكر الغربي؛ ليضمنوا تقسيم العالم الإسلامي ووحدته.

٢- لقد تحققت كثير من الآمال والأهداف لدى المستشرقين في السيطرة عن طريق الاستعمار للدول الإسلامية، وأصبح هناك ترابط بينهما، "ويقول مُحَمَّد عزت الطهطاوي: وكان الغرض الأساسي من إنشاء المؤسسات المذكورة هو تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشئون الإسلامية، وأن تكون في خدمة الحكومات المستعمرة لتحقيق أهدافها في البلاد الإسلامية، حتى إن رجال السياسة هناك كانوا على صلةٍ وثيقةٍ بأساتذة تلك الكليات، ويرجعون إلى آرائهم في البتِّ في المسائل السياسية"(٢). ومن المؤكد أنَّ السلطات الاستعمارية التي خدمها الاستشراق قاموا بمساعدة الحكومات المستعمرة، ومنها ما يلي:

أ- خلق الضعف الروحي بين المسلمين لتفرقتهم.

ب- تمزيق وحدة المجتمعات المسلمة بإبعاد أسسهم في اللغة؛ بأن يوجهون في دراسة وتعليم لهذه المستعمرات لمعرفتها.

ت- تمويل الحكومات المستعمرة لأهداف استعمارية، واستقطاب أكبر قدر وتوظيفهم لخدمتهم.

(١) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د.م: د.ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج١، ص: ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د.م: د.ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج١، ص٢٣٣.

٣- تمركز المستشرقين في قلب المجتمعات المسلمة، بعد تهيئتهم لأجواء الاستعمار في الدخول والتخطيط بهدف إسقاط العالم الإسلامي في كل مجالاته التعليمية والتربوية والثقافية والفكرية، "يقول علي حسن الخربوطلي: وليس ثمة شك في أنَّ الأبواب كانت مفتوحة على مصاريعها أمام المستشرقين في أعقاب تغلغل الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وغيرها من بلاد الشرق، فكان هؤلاء يصولون ويجولون في حريةٍ تامةٍ، وكانت دول الانتداب وكل الدول الاستعمارية تتحكم في توجيه الثقافة وتخطيط وسائل التربية والتعليم، وقد تمتع المستشرقون بحريةٍ تامةٍ في التجول بين مكتبات الشرق ... وكان الغرض الأساسي من إنشاء المؤسسات هو تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشئون الإسلامية، وأن تكون في خدمة الحكومات المستعمرة، لتحقيق أهدافها في البلاد الإسلامية، حتى أن رجال السياسة هناك كانوا على صلةٍ وثيقةٍ بأساتذة تلك الكليات، ويرجعون إلى آرائهم قبل البت في المسائل السياسية المتعلقة بالدول الإسلامية والشرقية ... فالاستعمار كان ركز على ما يلي:

١- اللهجات العامية.

٢- دراسة العادات السائدة بين المسلمين.

٣- التعرف على شعوب المنطقة؛ أي مناطق الدول العربية"[١].

وهذا المؤشر على بداية التغلغل الغربي وآثاره واضحة حتى في عصرنا الحاضر، ووجد في التاريخ الحديث لهذا العصر كثير من الدول الاستعمارية التي عملت على بسط نفوذها وسيطرتها على مناطق مختلفة من العالم، وقد عملت هذه المستعمرات في رسم ملامح السيطرة الكاملة، وزيادة أطماعهم من خلال تمكين تغلغل ودخول المستشرقين في الحكومات الدول العربية، وعمل اتفاقيات وتعاهدات تبيح استغلالهم لخيرات الدول المغصوبة؛ بل إنَّ هذه الوسائل التي استخدمها المستشرقون في الاستعمار ما زالت حتى الآن آثارها موجودة في العالم

(١) **سلسلة ماذا تعرف عن**، ج١، ص: ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩.

لبسط نفوذهم لفرض السيطرة وتحقيق ما يهدفون إليه، والهدف الرئيسي في إنشاء الاتفاقيات بين الدول لتقسيمهم.

المطلب الثاني: ارتباط الاستشراق بالتنصير:

بداية فكرة التبشير في السيطرة عندما فشلت الحروب الغربية الصليبية على بلاد الإسلام، والتي ترمي إلى نشر الدين النصراني وتجريد المسلمين من دينهم الإسلامي: "بعد فشل الحروب الصليبية (١٠٩٩م- ١٢٩١م) في السيطرة على بلاد المسلمين وعلى الشرق العربي الإسلامي، تبلورت في أذهان الغربيين فكرة التنصير (التبشير) الذي يرمي ظاهره إلى نشر الدين المسيحي في ديار المسلمين واستبدال الإسلام بالمسيحية، وهذا ما صرَّح به البابا يوحنا بولس الثاني خلال رحلته إلى إفريقيا عام (١٩٨٥م) فقال: إن هدف الكنيسة من التنصير إيقاف المد الإسلامي في إفريقيا، وإنشاء منظمات اقتصادية فيها على غرار البنوك الإسلامية لمواجهة هذا المد الإسلامي الكبير"[(١)].

والمستشرقون نجحوا في تحقيق بعض أهدافهم في عدة أصعدة؛ ومنها تحقيقهم وتمكنهم في إيقاف المد الإسلامي إلى الدول الغربية؛ وذلك عن طريق إنشاء وترويج الصور السيئة عن الإسلام، وعن طريق إثارة الشبهات والشكوك، وكان الهجوم الشرس للمستشرقين على ثوابت الدين الإسلامي هو الهدف الرئيسي للانتقاص من الرسالة المحمدية، ويسعون مجاهدين لوقف المد الإسلامي.

والملفت للنظر أن الممارسات الاستشراقية المعاصرة ما زالت تؤجج روح العدائية والكراهية والحقد للإسلام والمسلمين، ومن المعلوم أن الاستشراق كان ظهوره نتيجة من نتائج وأهداف الحروب الصليبية، محاولين بعد هذه الحروب إلى غزو المسلمين فكريًّا، وذلك هدف لهم بعد هزيمتهم بإفساد عقيدة المسلمين: "يعتبر الاستشراق في هذه المرحلة نتيجة من نتائج الحروب الصليبية، حيث إن الصليبيين الذين انهزموا عسكريًّا، وفشلوا في غزو المسلمين بقوة

(١) النشواتي، محمد نبيل، **الإسلام يتصدى للغرب الملحد**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ص٩٩.

السلاح، بدءوا في التفكير جديًّا لغزو المسلمين فكريًّا حتى يتمكنوا من زحزحتهم عن عقيدتهم الراسخة التي كانت السبب الرئيسي في تصديهم للصليبيين"[(١)].

وكان من أوَّل المنصرين إلى الدين المسيحي هو المستشرق (زويمر)، وقد أسس أوَّل مركز في الخليج العربي في تاريخ ١٨٩٤م، بهدف تحويل أبناء الخليج العربي إلى دين النصرانية أو تجريدهم من إسلامهم الحقيقي، فيكونوا مُهمشين ضعافًا في عقيدتهم: "عندما أسس زعيم المنصرين زويمر أول مركز تبشيري في الخليج العربي عام (١٨٩٤م) قال: يبدأ الطريق إلى مكة من الخليج، ونجاحنا في دول الخليج سيفتح لنا آفاقًا جديدة"[(٢)]. ولقد أقاموا لهذا المستشرق كثيرًا من الألقاب ومنها المختار ... وأين؟ في العالم الإسلامي!! وهذا ما يريده في ممارسة وتعليم الاستشراق من أجل تحقيق التبشير وخدمة النصرانية: "ومن المعروف بين جمهرة المبشرين المستشرقين أن صموئيل زويمر هذا كان يلقب ((بالمختار إلى العالم الإسلامي))، وكانت مهمته تحويل العالم الإسلامي عن عقيدته"[(٣)].

بل أقاموا له تذكارًا بقيام مؤسسة تنصيرية باسمه في الولايات المتحدة الأمريكية؛ لما قام به من جهودٍ حثيثةٍ في محاولاته الفاشلة في تنصير أبناء المسلمين في دول منطقة الخليج العربية، "قامتْ مؤسسة علمية باسم السموأل ((صموئيل)) زويمر في لوس أنجلوس بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية؛ تخليدًا لجهوده في التنصير في منطقة الخليج العربي"[(٤)].

إنَّ منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط من البؤر الهامة لاهتمام المبشرين والمستشرقين في توطين وإقامة قواعدهم وأسسهم ومخططاتهم لتنصير المسلمين في مجتمعاتهم

(١) الزيادي، مُحَمَّد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص٦٦.

(٢) النشواتي، **الإسلام يتصدى للغرب الملحد**، ص١٠١.

(٣) صبرة، عفاف، **المستشرقون ومشكلات الحضارة**، (د.م: دار النهضة العربية، د.ط، ١٩٨٥م)، ص٤٢.

(٤) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، **الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها**، (لبنان: بيسان، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ص١٤٢.

وبلدانهم: "هناك دلائل تشير إلى أنَّ منطقة الخليج وبخاصة –والشرق الأوسط بعامة– ستصبح منطقة تركيز جهود بالنسبة للمنظمات التبشيرية"(١).

ولم تكن نظرة المستشرقين الذين دخلوا في مجتمعات منطقة الخليج العربي مجرد نظرة سطحية، ولم تكن نظرة عابرة، بل هي نظرة تحمل مقاصد محددة ومستهدفة حملها المستشرقون معهم، وهي نظرة عميقة ممنهجة تهدف إلى تقديم موقفٍ أو رؤيةٍ معلوماتية استخباراتية عن منطقة الخليج، بكل ما فيها من جمع وحراك طبيعي ومجتمعي وثقافي، وفق رؤية تبشيرية يدعو إليها الاستعمار الغربي، ووفق رؤية منظمة واهتمامات سابقة في تمحور الصورة الواقعية، في دور هؤلاء في تقديم المعلومات الديموغرافية والدينية والثقافية إلى الدوائر الاستعمارية والثقافية الغربية، وغرس هؤلاء المبشرون والمستشرقون في استعراض الناحية المنهجية والمعرفية والتاريخية؛ لأنه يضع ذلك في قلب وصلب مسيرة ما أرادوه من عمل فكري وثقافي واقتصادي وعسكري في منطقة الخليج؛ وذلك لإيجاد مواقف وسلسلة من الأهداف والأساليب التي تمكنهم في التنفير والتشويش على أبناء النصارى عن معرفة ما يريده الإسلام في دعوته السمحاء، ومحاولات إبعاد من يمكن إبعاده من المسلمين عن إسلامه، ويكون المسلم كصورة وليس حقيقيًّا في إسلامه.

ويبدو للناظر أن الهدف الذي يصبو إليه الاستشراق هو إبعاد وتنفير النصارى خاصة عن معرفة الإسلام، وهو هدف ديني في محاربة وتشويه الإسلام والمسلمين، "وبما قاله زويمر أيضًا من أنه إذا أرادت الكنيسة أن توصل الكتاب المقدس إلى العالم الإسلامي، فعلينا أولًا أن نعرف العالم الإسلامي ونفهمه"(٢)، وهذا جزءٌ كبير للحملات التنصيرية ضد الإسلام.

ومن الملاحظ أنَّ الكتابات النصرانية كانت وما زالت تحارب المسلمين بنوعٍ من التعصب البغيض والحقد الشديد، وما زال هذا الحقد والتعصب من سوء فهمهم عن الإسلام

(١) دنفر، فون دنفر، ترجمة: سالم المولى، **التغلغل الصليبي في منطقة الخليج**، (د.م: د.ن، د.ط، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٣م)، ص١٠.

(٢) غراب، أحمد عبد الحليم، **رؤية إسلامية للاستشراق**، (د.م: د.ن، ط٢، ١٤١١هـ)، ص٥٣.

مؤثرًا كبيرًا في مواقف واتجاهات لكثيرٍ من الغربيين في عصرنا الحاضر، وقد دأب الاستشراق في توطين العلاقة المتآزرة مع جهات التنصير.

وإنَّ الناظر إلى العناصر الأساسية والقاعدة المهمة لظهور الاستشراق عمومًا، هو التنصير والتبشير في دول العالم العربي: "ولقد تعاون المستشرقون النصارى مع المستشرقين اليهود في دراسات مشتركة حول الكتاب المقدس (أي العهدين الجديد والقديم)، ثم في دراسات حول الإسلام والمسلمين لكي يتعرفوا سويًّا على ثغرات يمكن من خلالها بث الفرقة والفتنة بين المسلمين، وتشكيكهم في دينهم تمهيدًا لردتهم عنه، وبعضهم كان -أو ما زال- يمارس فعلًا النشاطات الاستشراقية والتنصيرية بصورةٍ مختلفة ودرجات متفاوتة إلى يوم الناس هذا"(١).

ولقد خدمت هذه النشاطات الاستشراقية والتنصيرية (التبشيرية) في الأهداف السياسية التوسعية للدول الغربية؛ فقد ذهب وسار المستشرقون في ركاب الاحتلال والاستعمار، فقد قدَّموا معلومات مفصلة وموسعة ومتقنة عن دول العالم الإسلامي، التي رغبتْ أو أرادتِ الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها الطبيعية والغير طبيعية، ونهج التنصير يتشابه كثيرًا مع نهج الاستشراق في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية: "إنَّ تاريخ التنصير مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي والفكري والأخلاقي ... وقد ظهر هذا الارتباط بين الاستشراق والتنصير والاستعمار في كتابات (ريموند لول) ، و(زويمر) أكبر منصر في الشرق، و(الكونت فولني) في كتابه (رحلات إلى مصر وسورية) والذي ظهر عام ١٧٨٧م"(٢)، ولهذا فإنَّ الثلاثي من الاستشراق والاستعمار والتنصير مترابطون ومتشابكون ومتعاونون في تحقيق أهدافهم ومعاولهم لهدم الإسلام.

(١) فؤاد، عبد المنعم، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ص٢٣.

(٢) فؤاد، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، ص٢٣.

ومن هذا المنطلق برز وظهر التبشير في الدول العربية الإسلامية، وجعلوا دافعهم الرئيسي خلال فترة التبشير والتنصير هو معرفة اللغة العربية؛ لكي يتمكنوا من معرفة تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه، وذلك بهدف التشكيك والتشويه للدين الإسلامي في عيون المسلمين: "وقد برز الدافع الديني للاستشراق أكثر ما برز في اتجاه خطير، ألا وهو التبشير ... وبذل كل ما في وسعهم لحمل المسلمين على ترك الإسلام، أو ترك تعاليمه، والتخلي عن اتخاذها منهج حياة لهم، ودستورًا يحكم جميع شئونهم ... وبهذا الدافع كان الإقبال على تعلم اللغة العربية وآدابها؛ ليتم لهم قراءة العلوم الإسلامية، والتعرف على مبادئ الإسلام ومصادره وشعوبه، ووضع الخطط والتصورات المناسبة على مبادئ الإسلام ومصادره وشعوبه، ووضع الخطط والتصورات المناسبة لتشكيك المسلمين في دينهم"(١).

وقد نتج عن ذلك السلبيات الكثيرة من خلال محاولات المستشرقين من باب الدافع الديني: "كما قادت محاولات البحث عن توحيد الرؤية من خلال دوافع دينية إلى سلبيات كثيرة في نتاج استشراق العصور الوسطى"(٢)، ونعي أن الهدف الرئيسي في عداوتهم لنا هو الهدف الديني الذي يرسمون في هدمه وضعفه، محاولين بذلك الوصول إلى أهدافهم وهو عرقلة انتشار الإسلام، والوقوف ضده كليًّا: "إن التبشير له مخطط وهدف يسعى إليه في النهاية .. هذا المخطط هو القضاء على الإسلام، والسيطرة على معاقله الرئيسية، فإن التركيز على منطقة الخليج هدفه الزحف إلى مكة"(٣).

(١) مُحَمَّد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، (د.م: الكلمة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، ص٣٣.

(٢) درويش، أحمد، **الاستشراق الفرنسي والأدب العربي**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٧م)، ص٢٢.

(٣) عميرة، عبد الرحمن، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت)، ص٤٧.

وحاول الغربيون تحويل خططهم وأسلحتهم في الحملات الصليبية من الحملات العسكرية المسلحة بالعتاد والجنود إلى حملات تبشيرية صليبية من غير سلاح، بهدف محاربة الإسلام وتقويض انتشاره: "يقول المؤرخ ((رينيه جروسيه)): وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوته، وكان من بينها: ((تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع الأسلحة التي تستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويًّا، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودًا للغرب))"[(١)]، فالغزو الصليبي حاول -وما زال يحاول- إزالة مظاهر ومقدرات الحياة الإسلامية، مبتغيًا إلى إزالة هذه الحياة لصرف المسلمين عن دينهم، وما يتصل بذلك من محاولات تقويض العقيدة وسلوك الأخلاق الذي يتصف به المسلمون الآن محل السلاح؛ بل إن الغزو الصليبي ينتهج منهج المودة والمحبة والبراءة، وتحريف الكلم عن مواضعه؛ فتحرك المستعمر وأعداء المسلمين وعلموا أن الإسلام هو مصدر القوة والثبات الذي يشجع ويجمع الأمة والتي تفضي للخنوع لغيرها، وكان الهدف السامي للمستشرقين بالأصح ما يسمى الغزو الصليبي الجديد لأعداء الدين هو إبعاد وإقصاء المسلمين عن دينهم؛ لتجريدهم من مصدر قوتهم وسعادتهم؛ مما يتيح ويسهل غزوهم بشتى الوسائل ثم هزيمتهم، محاولين بذلك التشكيك في دين المسلمين، مزعزعين ما هو محكّم بالشرع؛ دفاعًا لما يصبو إليه من معرفة وتعليم اللغة العربية؛ حتى يدخلوا على الإسلام من هذا الباب: "يقول مُحَمَّد الطهطاوي عند عرضه لأسباب نشأة الاستشراق: ((أرادوا -أي المسيحيون- أن يعرفوا مصادر المسيحية من اللغة العبرية، فتعلموا العربية (لأنها) قنطرة

(١) عميرة، عبد الرحمن، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت)، ص٩٧.

للعبرية، وهم في طريقهم ... وجدوا أنهم يجب أن يشككوا المسلمين في دينهم، فأخذوا في هذه الدراسات يعملون بمقصدين))"[١].

ومن المعلوم بأن التبشير هو الهدف الرئيسي عند المستشرقين، وانعكست دراساتهم وتنوعت في الوصول إلى هذا الهدف: "لم ير قسم كبير من الباحثين المسلمين في الاستشراق إلا وجه أوربا المسيحي، وهم لهذا يردون حركة الاستعمار الحديث ذاتها –وبشكل يكاد يكون كليًّا– إلى هذا العامل الوحيد، ويعتبرون الاستشراق كله أداة من أدوات التبشير والاستعمار"[٢].

لقد كان الإسلام شوكة معلقة عند الصليبيين، فحاولوا تحطيم الأفكار والخطط للمسلمين، مما سمعوا بعد معارك الغربيين من سمو المسلمين وسماحة الإسلام، وحسن التعامل مع أعدائهم في السلم والحرب، مما أربك وأزعج الأعداء الغربيين وأتباع الكنيسة في مقاومة هذا بالتشكيك والتكذيب لكتاب الله تعالى وسُنة نبيه ﷺ، بأن ترجموا القرآن الكريم وتفسيره على ما يريدونه من بغي وضلال: "وفي محاولةٍ لتحطيم الرأي العام الذي أخذ يتكون في أوربا نتيجة لمقولة العائدين من المعارك في الشرق، والذين تحدثوا عن سماحة الإسلام في التعامل مع الغزاة، وعظمة الإسلام في الأداء الحضاري، الأمر الذي أزعج الكنيسة ودفعها إلى العمل على مقاومة ذلك عن طريق ترجمة القرآن، وتفسيره على النحو الذي يثير التكذيب لرسوله ﷺ، والتشكيك في سلامته"[٣].

ويعتقد أن هذا الأمر يتضح جليًّا عند دراسة العلاقة الحميمة المباشرة والغير المباشرة بين الحركتين: حركة الاستشراق وحركة التبشير، اللتين ترابطا وتلازمتا طوال التاريخ المسيحي. وكانت الحروب الصليبية هي سلسلة الترابط والوحدة بين الاستشراق والتبشير، وكان من المعلوم أن نجاح التبشير من نجاح الاستشراق والعكس صحيح، وقد تختلف الوسائل بين

(١) شايب، لخضر، **نبوة مُحَمَّد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**، (د.م: مكتبة العبيكان، د.ط، د.ت)، ص٢٩.

(٢) **نبوة مُحَمَّد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**، ص١١١.

(٣) عميرة، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، ص١١٠.

التبشيريين والمستشرقين؛ ولكن في النهاية الهدف واحد؛ وهما جميعًا يسيرون في خطة مرسومة؛ فالاستشراق مهمته اجتذاب الناس عن طريق العلم والتعليم (التدريس)، وأن التبشير (التنصير) مهمته اجتذاب الناس عن طريق الدعوة المباشرة إلى دين النصرانية، فإن المستشرقين والنصارى أولَوا للكنيسة أهمية كبيرة، مما أتاح للاستشراق في مجال الكنسية تكريس طريق البعثات العلمية التي انطلقت في كل مكان؛ لكي يحققوا أهدافهم في الدعوة إلى التبشير، فواجب على المسلمين جميعًا -أفرادًا وجماعات، شعوبًا وحكومات- أن يمنعوا التنصير في بلادهم منعًا باتًّا، ويحرموه تحريمًا قطعيًّا كما حرمه الله تعالى في كتابه وسُنة نبيه ﷺ، وأن يحبطوا كل مؤامرات المبشرين والمستشرقين لرد المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، والابتعاد عنهم، وأن يمتنعوا عن التعاون، أو المحاباة، أو موالاتهم مع المنصرين والمستشرقين في أي شكل أو ظرف، وهذا ما نهى الله تعالى عنه في قوله: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]، والبعد عن مناصرتهم وولايتهم مهما كلفت الأمور؛ فإن ولايتهم من نواقض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

وعلى هذا يجب على كلِّ المسلمين وحكوماتهم أخذ الحذر والحيطة، والانتباه إلى الأخطار والمؤامرات التي تحاك بهم من المنصرين والمستشرقين، وأن يواجهوا ما يضر دينهم وأخلاقهم مواجهة علمية وعملية، على مختلف الأصعدة الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية: "والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية"[3]، فالمبشرون أساس في تكوين الصورة المشوهة للإسلام

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) قطب، مُحَمَّد، **المستشرقون والإسلام**، (القاهرة: المدني، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ص١٠.

والمسلمين بتأثيرٍ مباشرٍ أو غير مباشر، أو من خلال نفوذ من آخرين؛ بل إن الدافع الكبير من أن المسلمين أخذوا أفكارهم ومجريات أمورهم إلا عن طريق ما يعطونه المستشرقون لهم.

ومن المؤكد أنَّ التنصير له مجالاته المتعددة، والتي ينبغي على العالم الإسلامي رصد هذه المجالات، وتتبع الخطوات المراد بها في الدعوات التنصيرية.

المطلب الثالث: ارتباط الاستشراق بالاقتصاد:

من المعلوم أنَّ من أهداف المستشرقين الدخول في الدول العربية من خلال وصولهم لطلب الرزق، والبحث عنه من خلال وضع ملموس على أرض الواقع، في محاولة سيطرتهم على اقتصاد الدول العربية الإسلامية، وزاد الأمر شوقًا لديهم وزيادة في المعرفة العميقة للشرق العربي عندما تمَّ اكتشاف النفط، وزيادة النشاط والتجارة فيما بينهما: "ومن بين دوافع الاستشراق كان هناك الدافع الاقتصادي، حيث رغبت الدول الأوربية في تنشيط تجارتها مع دول الشرق الإسلامي، وتسويق منتجاتها، والبحث عن موادٍ خام لصناعتها، فلزم الأمر القيام بالتعرف على الشرق وطبيعته وجغرافية بلاده وعادات شعوبه ومعتقداتهم، وتوظيف هذه المعرفة بالشق فيما يخدم الهدف الاقتصادي"(١).

إنَّ المكتسبات التي يهدف إليها المستشرقون هي كيفية إيجاد الوسائل والسبل في الوصول إلى مرادهم، والوصول إلى الدوافع التي تخدمهم وتوظيفها في سيطرتهم، وكانت رغبة المستشرقين في استعمار البلدان العربية المسلمة هو الاحتلال والاستيلاء على اقتصادها، مما كرَّسوا أهدافهم في الدراسات المستشرقة في الوصول إلى مقومات العالم الإسلامي الاقتصادي، بهدف تجريدهم وبسط سلطتهم ونفوذهم عليهم: "يرى بعض الدارسين لميدان الاستشراق أن هناك دافعًا اقتصاديًّا وراء تشجيع الدراسات الاستشراقية، وذلك يتمثل في رغبة المستعمرين في غزو البلاد الإسلامية اقتصاديًّا بهدف الاستيلاء على ثرواتها الطبيعية

(١) مُحَمَّد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، (د.م: الكلمة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، ص٧٥.

ومؤسساتها الاقتصادية، وإماتة صناعاتها المحلية، حتى تكون البلاد الإسلامية ميدان استهلاك لما تنتجه الأيدي الغربية، فكان أن شجعوا الدراسات الاستشراقية حتى تكشف لهم عن طبيعة العقلية العربية وكيفية التعامل معها"[(١)].

ولقد حرصتِ الدول الغربية والمستشرقون على الثروات الطبيعية لوجود كثيرٍ من المضائق المائية المهمة تخدم الأسواق التجارية العالمية، وكذلك وجود الوفرة الكبيرة للنفط الخام، والمعلوم أن الهدف الرئيسي للاستشراق هو استغلال الشرقيين لتحقيق الأهداف الاقتصادية لخدمتهم، "إن الشرق قد تبدلت شئونه، غير أنَّ سياسة الغرب الجائرة لم تتبدل؛ بل إنَّ مبادئ الحرية التي سادتْ في الغرب، ونودي بها غالب القرن التاسع عشر، هبتْ عليها ريح هوجاء من المطامع السياسية والاقتصادية فمزقتها شرَّ ممزق، وبددت صورها كل مبدد؛ إذ أخذ التزاحم يشتد والتنازع يوغر قلوب الدول الغربية، حتى طفح الكيلُ فاشتعلت الحرب الكونية العظمى. وكانت قد اشتدت نهمة أوربا وجشعها للتوسع في الفتح والاستعمار ومناطق السيطرة، ونيل الامتيازات واحتياز الأسواق الاقتصادية"[(٢)].

وإن مخالب الاستشراق في عصرنا الحاضر قد طوَّر أدواته المسمومة ليدمر الشرق ويدفعه إلى الانتحار في ظل السيطرة والهيمنة على البنوك، وما نراه في وقتنا الحاضر سيطرة الدول الكبرى كأمريكا وبريطانيا وألمانيا وغيرها باقتصاديات وبنوك الدول وخاصة الإسلامية؛ بانتهاز الفرص لديهم لاستفزازها لقبول ما يريدونه، من خلال توجيه البنوك إلى إعطاء القروض إلى الدول النامية من العالم الإسلامي، حتى يتحقق لهم السيطرة الكاملة على هذه الدول، ويكون هذا الاقتراض كالسيف على رءوسهم، "تهدف إلى استنفاذ ما تبقى من موارد

(١) الزيادي، محمد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص: ٨٣، ٨٤.

(٢) الفيومي، **الاستشراق رسالة استعمار**، د.ط، ص١٠٧.

العالم الإسلامي والقضاء على اقتصاده؛ لأن هذه القروض تمثل الوحش الكاسر الذي يمسك برقبة فريسته ولا يتركها إلا حطامًا"(١).

ونجد من المظاهر التي اهتمَّ بها الاستشراق بتعاونه مع الاستعمار الغربي، من خلال توزيع وتصريف بضاعتهم وموادهم التي يصنعوها بأسعار مرتفعة، بينما في المقابل نجدهم يشترون بضائعنا بأقل الأثمان، "ومن الدوافع التي لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين"(٢). وعلى هذا يجب على دول العالم الإسلامي توجيه اهتماماتهم وطاقاتهم في توحيد الجهود للاكتفاء الذاتي في جميع المناحي الاقتصادية.

المطلب الرابع: ارتباط الاستشراق بالمجال التعليمي والعلمي:

لقد اهتمَّ المستشرقون في دراسات وعلوم عظيمة، وهي إفادة كبيرة للمستشرقين في تكوين السبب الحقيقي في نهضة أوربا في مجال العلم، فقد حاولوا عديدًا في مواجهة المسلمين آنذاك ولكن لم يفلحوا؛ فاهتموا في توجيه طاقاتهم إلى محاولات إبعاد المسلمين عن دراسة دينهم وعلومه، فسلطوا على النقطة المهمة بإشغالهم بالعلوم الدنيوية الأخرى؛ كدراسة الفيزياء والكيمياء والفلسفة، وتمَّ تأسيس كثير من المعاهد والمدارس في توضيح ودراسة هذه العلوم؛ "ولهذا فإننا نرى في فجر الاستشراق انكبابًا على العلوم الكيميائية والرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان، ولهذا تأسست الجمعيات العلمية في معظم الدول الغربية، وهو غرض علمي يستهدف إنهاض الغرب، ومن هذا فقد أفصح ((يوهان فيوك)) عن الهدف فقال: إنَّ الاستشراق لم يكن عملًا علميًّا محضًا، بل إنَّ المراد منه هو الرد على

(١) صالح، سعد الدين السيد، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، (القاهرة: مكتبة التابعين، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص٢٧٥.

(٢) السباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)**، (د.م: دار الوراق، د.ط، د.ت)، ص٢٣.

الإسلام، والتبشير والنصرانية بين المسلمين"[١]، فاهتمَّ الاستعمار اهتمامًا كبيرًا وموسعًا في الكتابات والدراسات العلمية للمستشرقين، "ولكن الكتابات الاستشراقية لها وزنها وأهميتها في المعايير الاستعمارية من الجوانب الديموغرافية والجغرافية، فكانت الدول تقدمهم للتنقيب والدراسة الجزئية أو الشاملة للشعوب الشرقية، وفي طليعتها الشعوب الإسلامية"[٢].

وكانت بدايات الدراسات الاستشراقية الهدف الرئيسي في أطواره الأولى، وذلك في بداية النهوض الحضاري الأوربي؛ وذلك أيام ازدهار وتطور الحضارة الإسلامية، حيث كانت الحضارة الأوربية تعيش في عصورها المظلمة، "أمَّا نشأة الدراسات الاستشراقية فالكثير من مؤرخي الاستشراق يرجعها إلى أوائل القرن السادس عشر ميلادي الذي شهد بداية النهضة العلمية في أوربا والاهتمام بالبحث عن الحضارات الأجنبية وخاصة الشرقية"[٣].

وهذه من أبرز الخطوات التي يهدف إليها المستشرقون في نشر الثقافة الغربية، وقد لوحظ بأن هناك أسبابًا قد أدَّت إلى ابتعاد المستشرقين عن الموضوعية والأمانة العلمية في كثيرٍ من أفكارهم العلمية؛ ومنها: توجه رجال النصارى إلى الاستشراق ودراسته؛ وبُنيت هذه الدراسات على الأكاذيب والأباطيل والتزييف في الحقائق عن الإسلام وأهله؛ "رعاية الكنيسة ورجالها من الرهبان والقساوسة للاستشراق منذ نشأته وحتى الآن، وعمل بعضهم في حقل هذا الفكر جعل هؤلاء لا يتخلصون من أفكارهم الموروثة تجاه الإسلام الذي كشف زيف الكنيسة وأبطل عقائدها"[٤]. ويأتي المستشرقون ليصبحوا جندًا فكريًّا وعسكريًّا

(١) الجيري، عبد المتعال محمد، **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)، ص: ١٦، ١٧.

(٢) حمدان، نذير، **مستشرقون سياسيون- جامعيون- مجمعيون**، (الطائف: مكتبة الصديق، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ص٢٥.

(٣) الكبيسي، عبد الغني، **أساسيات الثقافة الإسلامية**، (الكويت: مكتبة الفلاح، ط٢، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ص٣٣٥.

(٤) فؤاد، عبد المنعم، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ص٢٥.

للمسيحية. إن تهيئة المنصِّرين إنما قامت على أيدي المستشرقين، سواء كان هؤلاء المستشرقون من الرهبان القساوسة أو غيرهم، وكثير من أتباع الكنائس نزلوا إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير والتنصير وتدريب وإنشاء المبشرين بالعمل في البلدان الإسلامية، والكنيسة استفادت كثيرًا من المستشرقين فائدة جليلة لارتباط بعضهما مع بعضٍ؛ وما نراه من هجومٍ شرسٍ ومنظم على ثوابت الأمة، وانتقاص من قدر ومكانة الرسالة المحمدية ﷺ ما هو إلا ثمرة ونتاج ممارسة استشراقية امتدتْ ودارتْ لبضعة قرون وأزمنة تحت مظلة الكنيسة.

وعمل المستشرقون في رحلات وجولات كثيرة للبلدان تتركز في الرحلات العلمية المكتسبة، ورحلات استكشافية بحثية متنوعة، ورحلات استطلاعية مستهدفة تخدم الجوانب السياسية لديهم، وذلك بأسلوبين: نظري وعملي، تخدم المستشرقين: "والأسلوب النظري والعملي من المستشرقين هو قيامهم برحلات علمية واستكشافية واستطلاعية، يخدم بعضها جوانب علمية للمستشرق، كما يخدم بعضها الآخر جوانب سياسية توضع في إطار الفكر والعمل الاستعماريين"(١).

والحقيقة المرة والبعيدة كل البعد من الجانب السياسي للمستشرقين أن هؤلاء الرحالة قد شوهوا الحقائق النقية لدول الشرق في عيون الدول الغربية: "ويفترض أن مثل هؤلاء الرحالة وإنتاجهم لم يحقق كثيرًا من المكاسب السياسية، سوى أنهم يشوهون صورة الشرق في عيون الغربيين، ويدفع بهم إلى اغتنام مواقع الضعف فيهم، والتفكير في استعمارهم فيما بعد"(٢).

والدافع الديني لدى المستشرقين له الأثر الكبير في شبهاتهم للإسلام والمسلمين في تحقيق أهدافهم الباطلة، وترويج وتصوير المسلمين أنهم قتلة، ولديهم الرغبة الشديدة بالجنس: "والواضح أن هذه الجهود استمرت بعد ذلك، ومعظم القائمين بها من الرهبان الذين

(١) حمدان، نذير، **مستشرقون سياسيون– جامعيون– مجمعيون**، (الطائف: مكتبة الصديق، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ص٢٤.

(٢) **مستشرقون سياسيون– جامعيون– مجمعيون**، ص٢٤.

تسخرهم الكنيسة لخدمة أهدافها الحقيقية؛ وهي تشويه الإسلام، وتوجيه المطاعن إلى النبيِّ ﷺ، والدس في علوم المسلمين وتراثهم، وذلك من أجل أن يثبت رجال الكنيسة لجمهور المسيحيين أنَّ الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأنَّ المسلمين قتلة وسفاكو دماء، يميلون إلى إشباع رغباتهم وملذاتهم الجسدية؛ تنفيذًا لتعاليم دينهم الذي يبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي"[(١)].

وهذا الهجوم المتوالي على الإسلام والمسلمين ليس وليد اليوم، بل انتشر منذ عقود طويلة، مشككين ومشوهين ومزيفين لكثير من الحقائق، حتى يبعدوا أنظار متابعيهم من الغربيين عن أخطائهم في عقائدهم وكنائسهم: "يقول برنارد شو: لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك؛ إمَّا جهلًا وإمَّا تعصبًا"[(٢)]، وهذا واقع ما يمثله المستشرقون بوجه مظلم ومتغاير عن الحقائق، محاولين بذلك التوسع في إدخال الكنسية وآثارها في المجتمع المسلم، متخوفين من انتشار الإسلام: "فإن السياسة الكنسية الحالية تتمثل في العمل على وقف انتشار الإسلام في العلم وخصوصًا في الغرب، وقد عبر عن ذلك البابا جون بول الثاني حينما حذر سنة ١٩٩٠م من امتداد الإسلام في إفريقيا وأوربا. ومن الطبيعي تمامًا –ما دام من غير الممكن للكنيسة أن تنكر ذاتها– أن تحاول أن يبقى التعليم الكنسي أحد مقومات ثقافة المستشرق، وهي تقوم بذلك بواسطة نفوذها الكبير في دوائر الحكومات الغربية. إضافة إلى بقاء مبادئها عالقة –بطريق أو بآخر– بالمستشرق بفعل التربية ذاتها التي يتلقاها في مجتمعه[(٣)].

(١) الزيادي، محمد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص٧٨.

(٢) العاني، عبد القهار داود عبد الله، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، (عمَّان: دار الفرقان، ط١، ١٤١٢هـ-٢٠٠١م)، ص٩.

(٣) شايب، لخضر، **نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**، (د.م: مكتبة العبيكان، د.ط، د.ت)، ص١٤٢.

وكذلك من الأسباب: البُعد عن الحقائق للمنهج العلمي، والوقوف على كل مهاترات الفكر وبطلانه، والبعد وإهمال المصادر الإسلامية الأساسية الصحيحة والأصلية. وكذلك محاولاتهم في تظليل والتلبيس في البحوث العلمية؛ "مجافاة المنهج العلمي بإهمال ملاحظة مبادئه الأولية له؛ وذلك لانطلاق الفكر الاستشراقي من الزعم ببشرية القرآن وعدم صدق مُحَمَّد ﷺ في نبوته ... إهمال المصادر الإسلامية الأصلية، والاحتفاء بدراسات غير أصيلة نبه على خطرها علماء الإسلام ... التمويه والتلبيس في البحث بالتظاهر بالموضوعية والاستيعاب، ثم دس السم في الدسم وفق أسلوب يوحي بأن الفكر الاستشراقي يتسم بالجدة والدقة والصحة، وهو ليس كذلك"(١).

والجدير بالذكر أن المستشرقين خلال دراستهم للتراث الإسلامي ومحاولة التشكيك فيه انضم إليهم الكثير، والذين دخلوا واندمجوا وتلقوا التربية والتعليم في مجالات شتى في مدارسهم وجامعاتهم، وأصبحوا أدوات وعوامل متبعة ومطيعة في أيدي المستشرقين: "إن من واجبي أن أكشف للشباب تلك الحقيقة بجانبيها: جانب المستشرقين وما يكتبون، و((المثقفين)) وما ينقلون من أفكار المستشرقين"(٢)؛ فالمستشرقون تناولوا عملية البحث والدراسات هم أنفسهم، ما لا يتناوله أبناء المسلمين بأنفسهم لهذه البحوث والدراسات، وحقيقة ما يجب نشره من تراثهم وحضارتهم الإسلامية بمفاهيم محققة، وأن جهابذة علماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية سيبقون وسيكونون في كل وقت وحين واقفين في وجه كل أنواع وأشكال وامتداد التحريف والانتحال والتزوير والتلبيس، ضد الاستشراق الذي يريد السيطرة وامتلاك خيرات وثروات شعوب الدول العربية، ولا ريب بأنَّ المستشرقين قد هدفوا في محاولاتهم في التشكيك بما أنزله الله تعالى في دينه، والأخص في رسالة النبي مُحَمَّد ﷺ، وأن موضوع نزول الوحي على النبي ﷺ كان إلى مرضٍ فيه، أو تخيلات عقلية شبيهة بالمرض النفسي كما

(١) فؤاد، عبد المنعم، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ص٢٦.

(٢) قطب، مُحَمَّد، **المستشرقون والإسلام**، (القاهرة: المدني، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ص٥.

يدَّعون هم؛ وهذا ما يحاولونه في إدخال الشكوك والريبة في عقول الناس بصحة الرسالة بسبب هذه الأمور المخلة بها؛ وحاشا للرسول ﷺ أن يكون كذلك: "التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي؛ فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيًّا موحى إليه من عند الله –جل شأنه– ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها النبي صلى الله عليه وسلم أحيانًا ... فمن المستشرقين من رد إلى ((صرع)) كان ينتاب النبي ﷺ حينًا بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي ﷺ، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيًّا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي"(١).

بل إنَّ المستشرقين ألَّفوا كثيرًا من الخزعبلات والافتراءات على النبي ﷺ بهدف الطعن برسالته، وذلك في وضوح لمؤلفات المستشرقين الذين يحاولون إبعاد ما يسمى النبوة عن النبي ﷺ: "هذا هو تخبط المستشرقين في تفسير مظاهر الوحي التي تظهر على النبي ﷺ، ومع أنهم لا ينكرون ظاهرة الوحي أصلًا؛ لأنهم يؤمنون بأنبياء آخرين، فهم إما يهود أو نصارى، ولكنهم عندما يتحدثون عن رسول الإسلام تتحرك فيهم ظاهرة التعصب الأعمى، فلا يجدون تفسيرًا لذلك غير ذلك الهذيان الذي أوردت نموذجًا منه"(٢).

ويبدو للناظر أن المستشرقين ذهبوا في أمور عدة في تفسير الوحي الإلهي المنزل على النبي ﷺ؛ ولكنهم أجمعوا بكذبهم على إنكار هذا الوحي الإلهي، وجاءوا بأقاويل وتعليلات وتأويلات وتفسيرات بالتصرفات والأفعال التي تنتاب أو تحدث للرسول ﷺ، وعن إنكارهم لما يأتي به الوحي، فإنه إنكار للوحيين وهما: كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ، وادعاؤهم بأن القرآن الكريم هو الخيال الذي يتمتع به النبي ﷺ أو كأي شخص ينتابه هذا الشعور من

(١) السباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)**، (د.م: دار الورَّاق، د.ط، د.ت)، ص: ٢٥، ٢٦.

(٢) الزيادي، مُحَمَّد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص٩٢.

الخيال؛ إذ ادعاؤهم بأنها أمراض نفسية، أو وصوله إلى درجة من درجات التصوف التي تصل إلى الاتحاد بالله تعالى.

ولقد كان هذا الافتراء والتحامل على الوحي الإلهي هو الطعن والتشكيك بعقيدة المسلمين، والحاقدون من المستشرقين الذين حاولوا تفسير الوحي بأمور تُقدَّر بعقولهم الصغيرة، وتحاملهم على الإسلام بتفاسير خبيثة، وصحة الوحي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ عن طريق الملك جبريل –عليه السلام– وهذا الوحي حقيقة أنه ليس من ذات النبي ﷺ، وليس أثرًا من الآثار التي يدَّعي المستشرقون بأنها آثار من المرض أو الجنون والهلوسة، وليست أثرًا من آثار الزهد والتصوف، وليست أثرًا من العوامل الداخلية والخارجية التي تأثر بها النبي ﷺ قبل الإسلام، أو من الديانات السماوية السابقة. ولا بد أن نعلم ونؤمن بأن الوحي الإلهي هو ما يكلف الله عز وجل رسله وأنبياءه من آياته وكتبه، لنشرها وتبليغها إلى الناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[(١)].

ومن المعلوم بأن التشكيك في الحديث النبوي يندرج تحته التشكيك بالفقه الإسلامي وبتشريعاته الأخرى؛ إذ إن من ادعاءاتهم الباطلة أن الفقه الإسلامي مأخوذ من الرومانيين، وهذا القول مردود عليهم؛ إذ إنهم لو اطلعوا على الدين الإسلامي حق اطلاع من غير مجافاة أو انتقاء أو موضوعية علمية؛ لرأوا ووجدوا الحق المبين في تشريعات الإسلام بأنها مبنية على الصحيح من كتاب الله تعالى ومن سُنَّة نبيّه ﷺ: "التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، لقد سقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول، فلم يجدوا بدًّا من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني؛ أي أنه مستمد منهم؛ الغربيين"[(٢)].

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) السباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)**، (د.م: دار الورّاق، د.ط، د.ت)، ص٢٩.

وقد تجاوز المستشرقون في شكوكهم خاصة في اللغة العربية، وأنها تعتبر حاجزًا معيقًا لمسايرة التطور العلمي، وأن هناك فقرًا في آداب اللغة العربية، بغية المحاولة في التشكيك والطعن في اللغة العربية، وهذا ما حاولوه في تطبيق اللهجة العامية بين أقطار الدول العربية، وبعدهم عن اللغة العربية الفصحى: "التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي؛ لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وإظهاره مجدبًا فقيرًا لنتَّجه إلى آدابهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه"(١).

فالمبادئ والأهداف العلمية الفاسدة للمبشرين والمستشرقين هي واحدة، فهما معول واحد في الهدم والتخريب داخل المجتمعات المسلمة، ولا بدَّ أن نعلم خطورة الاستشراق، وحتى يومنا هذا وهم يستقون معلوماتهم عن الإسلام من كتابات ومؤلفات المختصين في هذا المجال في كل ميادينه المختصة به، والاستشراق من جانب أهدافه العلمية الغير موضوعية تتجسد في قضايا تتناقض حولها الآثار في عالمنا الإسلامي المعاصر، والواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته الواقعة والمؤثرة في الفكر الإسلامي إيجابيًّا أو سلبيًّا.

ويبدو للناظر ما نجده أن التسلط الاستشراقي الأجنبي بطرقه المختلفة والمتنوعة على مقدَّرات المسلمين، في ظل التسرب والتمديد التبشيري بمعية المستشرقين، وإشاعة الضعف والوهن والانحلال في نفوس أبناء المسلمين حتى يستولوا ويستعبدوهم، وذلك لصرف المسلمين عن دينهم.

لقد هدف المستشرقون في الوصول إلى الهدف العلمي من خلال توجيه ومعرفة الكتب الإسلامية في جميع الدول الإسلامية؛ فجل بحوثهم في الاستقراء والبحث يكون أخذهم منها بما يوافق هدفهم الدنيء أو ما يوافق عقولهم الفاسدة، فأسسوا قواعد بشتى أنواع الانحرافات العلمية والعقلية والسقوط لطمس وإخفاء الحقائق الصحيحة المعتمدة: "قام

(١) **الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)**، ص: ٢٩، ٣٠.

المستشرقون بالبحث والتمحيص للكتب الإسلامية ما بين نقد بناء ونقد هدَّام، فمنهم من عرف الحق فاهتدى إليه بإعلان إسلامه أو التصريح بالحقائق دون لبسٍ أو مداراةٍ، ومنهم مَن استخدم شتَّى أنواع الضلالات والزيف لطمس الحقائق وإخفائها ... وهم الزمرة الكثيرة من المستشرقين. يقول الدكتور حسين الهراوي: ((إنَّ للمستشرقين طريقة لا تشرف العلم أنهم يفترضون فرضًا ثم يلتمسون أسبابه، فإذا وجدوا في القرآن آيات تتناسب في معانيها مع غرضهم اقتبسوها، وإذا وجدوا في القرآن آيات لا تتناسب مع غرضهم تجاهلوها وقالوا: إنها غير موجودة في القرآن الكريم))"[(١)]. فإنَّ الغرب بذل جهودًا حثيثة لمعرفة الإسلام والمسلمين وبلدانهم تحت اسم الاستشراق، فقد كانت حركات الاستشراق أثارت الاهتمام وجهودهم للتعرف على الدراسات الاستشراقية التي كتبها المستشرقون عن الإسلام، وعن أهم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي وهو القرآن الكريم، وعن مزاعم المستشرقين في مصادر القرآن، ووجدوا من القرآن الكريم من الآيات التي تخالف أهواءهم، ومنها ما يخالف ما يناسبهم في تحصيل أغراضهم، فبدءوا في التشكيك والطعن والتضليل عليه.

ومن المعلوم أنَّ المستشرقين قد قاموا بتأليف كثير من الكتب والموسوعات العلمية التي تحاول في التشويه والتشكيك بالدين الإسلامي، مع أن هذه الكتب والموسوعات قد استفاد منها كثير من أهل العلم في العالم الإسلامي: "وقد قام المستشرقون بوضع الموسوعات العلمية الإسلامية مثل:

١- دائرة المعارف المختلفة.

٢- دائرة المعارف الإسلامية.

٣- القاموس الإسلامي.

٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(١) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د.م: د.ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج١، ص: ٢٤١-٢٤٣.

وأصبح بعضهم أعضاء عاملين في المجامع اللغوية في كثيرٍ من البلاد العربية والإسلامية مثل:

١- مجمع اللغة العربية- مصر.

٢- مجمع اللغة العربية- سوريا.

٣- مجمع اللغة العربية- المغرب.

٤- مجمع اللغة العربية- تونس"[١].

ولم يكتفِ أعداء الإسلام والمسلمين بهذا؛ بل قاموا بمساعدة الاستعمار في افتتاح كثيرٍ من المدارس والجامعات التي تهدف إلى تحقيق ما يربون إليه؛ وذلك سعيًا في نشر أفكارهم وعلومهم وخاصة من المبشرين والملحدين: "عرفنا كيف حقق المبشرون أغراضهم في أشخاص المدرسين النصارى والملحدين، وعن طريق المبشرين المتجولين، وسنرى الآن كيف اتجهت الأنظار إلى تقنين الأمركة إلى جامعة الكويت حتى يكون التبشير الفكري والعلمي مدعومًا بقوانين جامعية، تجعل الأمر وكأنه مشروع يجب إلزام الناس به"[٢].

ويبرز دور الاستشراق والمستشرقين بإيجاد دورهم في إبراز ملامح الحضارة الإسلامية في مختلف بقاع البلدان العربية، ومن المؤكد أن المستشرقين تجاوزوا حدود اللغة والمسافات لإظهار التراث العربي والإسلامي؛ من حيث اختلاف مواقفهم السلبية والإيجابية من ظاهرة الاستشراق، "ولقد أثمر هذا الاستعداد العلمي المكثف على امتداد هذه القرون كثيرًا من الدراسات المفيدة حول الشرق العربي وتراثه كتبها المستشرقون بالفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية أو الروسية، وغيرها من اللغات الحية"[٣].

(١) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د.م: د.ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج١، ص٢٤٣.

(٢) **سلسلة ماذا تعرف عن**، ص٢١١.

(٣) درويش، أحمد، **الاستشراق الفرنسي والأدب العربي**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٧م)، ص١٢.

ولقد كانت إسهامات المستشرقين ترجمتها جامعة الكويت، وذلك من خلال دخول كثير من الأساتذة الجامعيين من الغرب والمستشرقين، وإتاحة المنح الدراسية للطلاب للوصول إلى التغذية الفكرية لهم من دراستهم الخارجية، وأن التبشير والاستعمار أسسا قاعدة في تركيبة الفكر وتغذيته في أبنائنا الدارسين في الكويت والخليج العربي؛ "فالتبشير بعقيدة المسيح كانت غايتها، والتبشير بالاستعمار هدفها، والنتيجة أن خرَّجت الجامعة الأمريكية من أبنائنا العرب المسلمين -بمن فيهم أبناء الخليج العربي- ودفعتهم إلى بلادهم بعد أن زودتهم وشحنتهم، "فإن أثر الجامعة الأمريكية كبير على الفكر العام للمجتمع الكويتي وتأثيره السلبي، وما زال لهذه المدرسة الأثر والنشاط الظاهر في جميع المدارس الخاصة التابعة للتعليم الغربي الهابط، وإن السيطرة التي خطط إليها المستشرقون منذ أمد طويل؛ إذ أعدوا كوادرهم وفلولهم بأن أتاحوا لهم فرص التحصيل العلمي إلى أعلى المستويات في جامعات الكويت العامة، والخاصة بما يؤمن لشبابهم من منح دراسية سخية؛ بينما أبناء المسلمين في المجتمع محرومون من تلك الفرص، وما يزيد عليهم من عوائق وعداوة من جانب المستشرقين وأمثالهم من التغريبيين.

المطلب الخامس: ارتباط الاستشراق بالمجال الإعلامي:

في مجال الإعلام: سواء الإعلامي المرئي أو المسموع؛ فهما أساس الانحطاط والتبذل في أخلاقيات السلوك والفكر لكثير من المجتمعات الإسلامية؛ محاولين بذلك تحطيم الأسرة المسلمة. وتستمر الصلة بين الاستشراق والإعلام؛ حيث كل منهما مرتبط بالآخر، "ولقد كانت خطة المستعمر ألا يرحل من البلاد التي احتلها إلا بعد أن يعد جيلًا من المثقفين والسياسيين، يخلفه في حراسة هذه العلمانية، ليضمن تبعية البلاد العربية والإسلامية لأوربا، فكان ما نشاهده من سيادة هذه الطبقة في السياسة والإعلام والمرافق الهامة، ومن إبعاد كل ملتزم بالإسلام والقيم الإسلامية عن هذه المراكز القيادية، أو عن أدوات التأثير في المجتمع، حتى أن الدول المسلمة لا تستطيع أن تترك للفتاة حرية الظهور على شاشة التلفاز وهي

ترتدي الحجاب الإسلامي، فكل مذيعة تحجبت تم إبعادها عن العمل"[(١)]؛ فالمستشرقون دخلوا في الجرائد اليومية والمجلات والمقالات التي تنشر أفكارهم، وكذلك في الصحافة والقنوات الفضائية والإذاعية والإنترنت، وهؤلاء جميعًا مملوكون لكثيرٍ من المستشرقين؛ والمؤسف أن بعضها يتم تمويلها من خلال القنوات الحكومية، ولجأ المستشرقون لوسائل عديدة تكمن في كل الجهات دون استثناء، بدءًا بدراسة الموضوعات الإسلامية وعلومها، ولم يغفلوا عن الحقل الحيوي في التعليم والتربية؛ فاتجهوا وعاثوا فيها الفساد حيث عمدوا إلى المؤسسات العلمية في البلدان العربية المسلمة لتكون عيونًا لهم ترصد كل تحركات وسكنات، وتكوين تعليم الطلبة وإجبارهم على دخول ما يعتقدون من دراسات يرتكز عليها الغرب، وتشكيل نظرته عن الإسلام وأبنائه؛ دراسات وأكاديميات ظاهرها الاطلاع والمعرفة على ثقافات متنوعة؛ لكن نجد بين جوانحها وطياتها الهدف الكبير للمستشرقين من الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، "ونتج أيضًا عن هذه الدراسات الاستشراقية أن طلبة المسلمين الذين وردوا جامعات الغرب والشرق لم يكن لأكثرهم من الفكر الإسلامي الصحيح والتصور الصادق له ما يمكنهم من أن يبنوا دراستهم على أسس سليمة صحيحة، فكان التصور الغربي للإسلام هو القاعدة التي بنى عليها هؤلاء الدارسون أبحاثهم وكتاباتهم"[(٢)].

ولأن كيد المستشرقين ماهر وماكر ومخادع، فكثير من المسلمين لا يفطنون ولا يظنون إلى كيدهم وحقيقة مكرهم، ومدى توغلهم في إيهام المجتمع المسلم الحقائق الواقعية للإسلام، فالمستشرقون اللبنة الأولى من الاستعمار والتبشير (التنصير)، قد حرصوا على إفساد عامة الشباب عن طريق الصحافة والإذاعات المرئية والغير مرئية، مما أفسدوا في كثير من الأمور الحياة المجتمعية داخل الأسر المسلمة؛ مما جعل هناك فجوة عميقة لا تسد بسهولة، فإن

(١) البهنساوي، سالم علي، **تهافت العلمانية في الصحافة العربية**، (المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، ص٦.

(٢) العاني، عبد القهار داود عبد الله، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، (عمّان: دار الفرقان، ط١، ١٤١٢هـ- ٢٠٠١م)، ص١١.

انفتاح الدول الإسلامية على دول العالم الغربي سهَّل في تعميق هذه الفجوات الفاسدة التي ترمي بها علينا الدول الغربية: "يعمل التبشير على إفساد شبابنا وفتياتنا عن طريق الإذاعات الموجهة، والصحافة والتبشير بآخر ما أخرجه العقل البشري من أساليب الشيطان، وإذا فسدت أخلاق الأمم فسدت عقيدتها فتصبح كما كانت الجاهلية الأولى، والتي عبر عنها المغيرة بن شعبة أمام عامل كسرى بقوله: ((نحن أناس من العرب كنا في شقاءٍ شديدٍ، وبلاءٍ شديدٍ؛ نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك ... إذ بعث رب السماوات ورب العرش تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًّا من أنفسنا[(١)]))"[(٢)].

ويعتقد أن هناك صلة كبيرة بين الاستشراق والإعلام؛ إما يكون إعلامًا مرئيًّا أو إعلامًا سمعيًّا. وأبرز ما نراه الآن في الواقع المعاصر هذه الصلة الوطيدة من نشر أفكارهم السامة من خلال هذه القنوات لا سيما أساليب الشيطان في إظهار نماذج من المستشرقين في تناول القضايا التي تحمل طابع الكتابات الاستشراقية التي تهاجم الإسلام وأبناءه، وتشويه صورته بأساليب سلبية انتقائية، وقد حرص المستشرقون في إنشاء كثير من مجلاتهم التي يتزعمها منصرون ومبشرون؛ الذين كرَّسوا جلَّ أوقاتهم وحياتهم في هدف الطعن للدين الإسلامي، وقد أسسوها بغية التشكيك وقذف الانحرافات للمجتمعات المسلمة، وذلك بدس السم في العسل: "وقام المستشرقون بالتدريس في البلاد العربية والإسلامية، وقدموا البحوث باسم البحث الأكاديمي العلمي الذي يصدقه العقل قبل النقل ... مجلات المستشرقين، وهي كالتالي:

١- المجلة الأسيوية: تصدر عن جمعية المستشرقين في فرنسا.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، ج٤، ص١١٨، رقم (٣١٥٩).

(٢) عميرة، عبد الرحمن، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت)، ص: ٧٦، ٧٧.

٢- مجلة الجمعية الأسيوية الملكية: تصدر عن جمعية تشجيع الدراسات الشرقية- لندن، ١٨٢٣م.

٣- الجمعية الشرقية الأمريكية.

٤- مجلة جمعية الدراسات الشرقية: يصدرها المستشرقون الأمريكيون.

٥- مجلة شئون الشرق الأوسط.

٦- مجلة الشرق الأوسط.

٧- مجلة العالم الإسلامي.

٨- مجلة عالم المسلمين"[(١)].

وأثبتت الدراسات زيف وافتراءات الكثير من المستشرقين في محاربة الإسلام، وأن هناك قلة بسيطة منهم تهتم بدراسة العلوم الشرعية والعربية بدافع وهدف علمي للاستفادة من علم وحضارة ونهضة الأمة العربية الإسلامية، ومعرفة حقيقة الدين الإسلامي عن قريب: "هناك قلة قليلة من المستشرقين الذين أقبلوا على دراسة العلوم العربية والإسلامية بدافع علمي محض، بغية الاستفادة من تراث وحضارة هذه الأمة وإفادة أقوامهم بها، وهؤلاء بالطبع كانوا قليلي الأخطاء إذا ما قيسوا بجمهرة المستشرقين الآخرين، والسبب في قلة أخطائهم أنهم أقبلوا على البحث بروحٍ علمية بعيدة عن الأهواء السياسية والتعصبات القومية والدينية، فجاءت مؤلفاتهم مصبوغة بصبغة الحقيقة العلمية، وأثبتت بكل وضوح للعالم الغربي حقيقة هذا الدين وأصالة هذه الحضارة، وأثبتت في المقابل زيف وافتراء بقية المستشرقين وحقدهم"[(٢)]، فاللغة العربية لازمت انتشار الإسلام، ولامست واقع الشعور الإنساني النبيل والفطرة السليمة، فهي لغة تامة الحروف والألفاظ، لم تكن ناقصة أو بها قصور في حروفها أو كيانها من غير نقصان

(١) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د.م: د.ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج١، ص: ٢٤٥- ٢٤٧.

(٢) الزيادي، مُحَمَّد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص: ٨٦، ٨٧.

أو زيادة، وهذا ما أثبته كثير من المستشرقين بقوة اللغة العربية في محتواها وحفاظها لمحتوياتها من كل شائبة أو شائنة.

وتميزت اللغة العربية بأنها ذات مضامين علمية ومنهجية وموضوعية وحضارية؛ وهي تتسم بالبيان والسهولة والوضوح وتنوعها، ومن المؤسف أن اللغة العربية تأثرت مباشرة سلبيًّا أو إيجابيًّا بالواقع المؤلم، وهذا ما يصبو إليه الاستعمار في التعمق لمعرفة اللغة العربية.

وقد شارك المستشرقون في كثير من المجمعات اللغوية العربية في دول عربية، وبعضهم تسلَّلَ في هذه المجمعات لنفث سمومه وخبثه وشبهاته خلال دراساته وآرائه وأفكاره الحاقدة، بل إن الناظر للاستعمار له أهدافه وخاصة في اللغة العربية، وتوجيه وفرض في هدمها، ومحاولاته إلى تقويضها كهدف أساسي له لشق طريق الاستعمار؛ محققين بذلك غياب اللغة العربية لتقويض فهم الشريعة الإسلامية وخاصة كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ: "ومما يؤكد اضطلاع الاستشراق بالأهداف الاستعمارية في إطار اللغة العربية، وإسهام المستشرقين فيما فرضه الاستعمار من دعوات مضللة هدمت اللغة العربية، وعملت على انحسارها من أرجاء العالم، واستبدلتها بالحروف اللاتينية أو اللغات واللهجات المحلية ما أبداه المستشرق الألماني (كامغماير) من سرور حينما رأى غياب السمت الإسلامي، وذهاب اللغة العربية والحرف العربي من تركيا، فقال في شماتة واضحة: (إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية)[(١)].

ومن أطماع المستعمرين الغربيين من ضمن الحقائق في إحلال اللغة العربية بالتشجيع والتفكير في اللغات العامية العربية، وظهورها على الثقافات والفكر؛ ومن هنا فتحت المدارس المتخصصة عن الدراسات الاستشراقية في البلدان الغربية لدراسة العاميات في الشعوب والجماهير لفرضها داخل مجتمعاتهم المتقبلة لها، ولقد اهتم المستشرقون في دراسة اللغة العربية

(١) السعدي، إسحاق بن عبد الله، **دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه**، (قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م) ج٢، ص٩١١.

في المعاهد والجامعات الغربية، واعتمدوا على كثير من الكتب العربية في الدراسات لديهم، والعناية والاهتمام بالمؤلفات العربية؛ الأدبية منها واللغوية: "وعلى إثر ذلك بدأت حركة جادة من الرهبان لتعلم اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية، وقضى مجمع فيينا سنة ١٣١١م برئاسة البابا (اكلمنتس الخامس) أن تؤسس في باريس وإكسفورد وبولون وصلمنكة -أي في عواصم العلم في هذه البلدان- دروسًا عربية وعبرانية وكلدانية، وهي ما عرفت أخيرًا بكراسي الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية ... ثم أخذت الجامعات الغربية في اعتماد الكتب العربية واعتبارها مراجع للدراسة. ومع إنشاء المعاهد التي تخصصت في الدراسات العربية بدأت العناية الخاصة بالتراث الإسلامي وجمعه، وبدأت أيضًا ترجمة بعض المؤلفات العربية في الأدب واللغة"(١).

لقد اتخذ الغزو الفكري في الجانب الثقافي الكثير من الأساليب المتواصلة والمختلفة في تكوين وتسويق الأسس التي يرتكز عليها المستشرقون في بناء قاعدة قوية من خلال التبشير، ونشر الفكر الاستشراقي من خلال العَلمانية والعولمة الفكرية الملوثة، "وقد اتخذ هذا الغزو أساليب متعددة لتسويقه ونشره من أهمها: التنصير (التبشير)، الاستشراق، العَلمانية والعولمة"(٢).

إن ملوثات الأفكار والعقول التي بنيت تحت تأثير الانفساخ الخلقي والديني لانتشار الإلحاد والانحلال والفساد؛ لأن المستشرقين يجعلوننا نفكر بعقلية الغرب وطرقهم الملتوية في العلاقات الحرة، ونقل أراضي المجتمع الغربي إلى المجتمعات المسلمة.

(١) الزيادي، مُحَمَّد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، ص٦٧.

(٢) الكبيسي، عبد الغني، **أساسيات الثقافة الإسلامية**، (الكويت: مكتبة الفلاح، ط٢، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ص٣٢٩.

المطلب السادس: الاستشراق ومحاولة تضييق الاختلاف بين الإسلام والمسيحية:

إن أعداء الإسلام عندهم من التأويل والحقد الكثير، محاولين بذلك بادعائهم الابتعاد عن الخلافات وسوء الفهم وسقمه بين المسلمين والمسيحيين، وتقريب وجهات النظر للوصول إلى ذلك التقارب، "ونظرًا للأهداف السامية التي يرمي إليها المؤتمر، ومن بينها بحث تقارب وجهات النظر بين العالمين المسيحي والإسلامي، ودراسة تزايد موجة الابتعاد عن الدين التي يواجهها الشباب –المسلمون والمسيحيون– وكذلك السعي من أجل إزالة الخلافات وسوء الفهم الذي قد يكون قائمًا بين الدينيين"(١). وكل ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾(٢)، فكيف يكون التقارب بين الكفر والتوحيد، بين الهداية والضلال؟ وكيف يكون هناك التسامح بين الديانتين ووجود البغض والحقد والكراهية على الإسلام والمسلمين؟ وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾(٣).

ومن هنا توغل المستشرقون في كثير من منافذ الدراسات العربية وخاصة بالكتاب والسنة واللغة العربية، "فقد ألفوا في التاريخ العربي الإسلامي، وفي تاريخ أدب اللغة العربية، وفي الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسُّنة المطهرة، ومعظم هذه المؤلفات تزخر بالطعن في الإسلام، وتمتلئ بالأكاذيب"(٤)، فالتعاون الوثيق بين الاستشراق والاستعمار قد أضعف بُنية بلاد المسلمين وخنوع المسلمين بثقافاتهم ومعتقداتهم وحضاراتهم لهذا المد الكبير المتوغل في

(١) الكبيسي، عبد الغني، **أساسيات الثقافة الإسلامية**، (الكويت: مكتبة الفلاح، ط٢، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ص٥٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٤) الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (د.م: د.ن، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ج١، ص٢٤٥.

كل جهة ومنفذ، "وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار –بعد الاستيلاء العسكري والسياسي على بلاد المسلمين– إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم، حتى يتم للاستعمار في النهاية إخضاع المسلمين إخضاعًا تامًّا للحضارة والثقافة الغربية"(١).

وبهذا نجد أن الغربيين لم ييأسوا ولم ينكسروا بهزيمتهم وخذلانهم في الحروب الصليبية، التي نجدها حقيقة حربًا مسعورة استعمارية مخربة منهكة، "ويتحدث (كولي) عن الحروب الصليبية فيقول: (... وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما تضمنه من قوانين الأخلاق الساذجة"(٢). وبهذه الحالة التي كانوا يعيشونها بالذل والحقارة، قاموا واتجهوا اتجاهًا خبيثًا في دراسة واقع بلاد العرب المسلمين؛ بكل اتجاهات وعادات وأخلاق وثروات طبيعية؛ ومع المعرفة في الاتجاهات المعرفية والفكرية والسلوكية والوجدانية والعقائدية للمجتمعات المسلمة، وذلك بهدف معرفتهم لخصائص موطن الضعف والقوة؛ بدراستها دراسة عامة وخاصة، وفي سبيل ذلك عمل الاستعمار بتكريس مبدأ المستشرقين في استحواذ المجتمعات المسلمة لتفرقتها؛ حتى يسهل عليهم إضعاف المسلمين في جميع المجالات، ومن هؤلاء المستشرقين الذين خدموا الاستعمار، وربطوا وجمعوا بين الاستعمار والاستشراق في الوطن العربي المسلم؛ المستشرق الهولندي (سنوك هورجرونيه في تاريخ ١٩٣٦م)، "ورغم أن صديقه جون جرمان (١٤٠٠– ١٤٦١م) كان يناقضه تمامًا، إذ كان داعية للحروب الصليبية، إلا أن جون السيغوفي لم يعدم مناصرًا لأفكاره، وقد تمثل ذلك في تقرير نيكولا الكوزي (١٤٠١– ١٤٦٤م) أهمية النقاش بين

(١) زقزوق، محمود حمدي، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص٥١.

(٢) العاني، عبد القهار داود عبد الله، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، (عمّان: دار الفرقان، ط١، ١٤١٢هـ– ٢٠٠١م)، ص١٤.

النصارى والمسلمين، ولذلك كان كثيرًا ما يهتم في جزيئات أبحاثه بإبراز عناصر الالتقاء بين الدينين"[١].

ولم ينتهي الأمر إلى هذا الحد، بل أدرك المستشرقون مع المنصرين (التبشيريين) في محاولاتهم المستمرة في توطين التقارب بين المسيحية والإسلام من خلال التزويج حتى يتآلفوا مع بعضهم، والاختلاط معهم في المناسبات المختلفة، "ولا بد من التنبيه مرة أخرى أن هذه التوجهات التبشيرية التي ابتدأت تتوسل بطرق مختلفة، مثل دعوة بيير ديبو المسيحيين إلى الاختلاط بالمسلمين والزواج منهم"[٢]. ومن المؤلم ما نجده في عصرنا الحاضر من أهداف الصليبية الجديدة في تكوين وخلق جيل من أبناء المسلمين يقومون بهدم دينهم، وتلويث عقيدتهم السليمة.

النتائج:

أثر العلاقة بين الاستشراق والاستعمار:

١- تمهيد الاستشراق للغزو الاستعماري بهدف تفتيت وتشتيت وتقسيم المسلمين.

٢- استخدام المستشرقين لحكومات دول العالم الإسلامي في تحقيق بسط نفوذ الاستعمار.

٣- التبشير هدف مهم للاستعمار من خلال المستشرقين في مواجهة انتشار الاسلام.

٤- محاولة المستشرقين لخدمة الاستعمار والاحتلال في الوقوف على السيطرة على ثروات العالم الإسلامي.

٥- اهتمام الاستعمار في هدم وتقويض اللغة العربية الفصحى.

التوصيات:

١- العلاقة بين الاستشراق والتنصير (التبشير) علاقة وثيقة ومتينة، من خلال النفوذ على العالم الإسلامي.

---

(١) شايب، لخضر، **نبوة مُحَمَّد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**، (د.م: مكتبة العبيكان، د.ط، د.ت)، ص٥٩.

(٢) **نبوة مُحَمَّد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**، ص٥٣.

٢- أقام الاستشراق مختلف الدراسات والبحوث للتغلغل إلى ديار المسلمين؛ ومن خلال ذلك يجب الردود العلمية والدراسات لفضح مخططاتهم.

٣- الاستشراق والاستعمار والتنصير حلقات وعلاقات متشابكة مع بعض في التعاون بينهم.

٤- الصليبية الجديدة في عصرنا الحاضر هدفهم إيجاد وخلق جيل من أبناء المسلمين يهدمون الإسلام.

٥- رصد وتتبع خطوات الدعوات التبشيرية الاستعمارية في العالم الإسلامي ومجالاتها المتعددة.

٦- الاهتمام بالاكتفاء الذاتي لدول العالم الإسلامي في الأمور الاقتصادية.

الخاتمة:

وختامًا لهذا البحث والذي أردت به عرض العلاقة بين الاستشراق والاستعمار وتوضيح أهدافهم ودوافعهم، وما آلت إليه الأمور في عصرنا الحاضر من احتلال استعماري بأيد وأفكار غربية مستشرقة، نالت من كثير من بلدان المسلمين، وما رأيناه من دخول الدول الغربية لسوريا والعراق وليبيا، والتخريب والدمار مستشري إلى الآن في هذه الدول، والمؤسف إلى وقتنا هذا لا زال المستعمرون يحاولون زرع الفتن والحروب بين البلدان في سبيل تحقيق غاياتهم وأهدافهم، وأردفت كل هدف وغاية من هذه الأهداف التي تكمن في مضمون موضوعنا بالرد عليها ودحضها.

وقد تبين لي من خلال بحثي جملة من الحقائق والنتائج المستفادة حول الاستشراق والمستشرقين، من حيث الشبهات التي طعنت وشككت بالإسلام والمسلمين من خلال تحقيق أهدافهم الاستشراقية في أرض الواقع، والتي دارت حولها الطعون والرد عليها، وذكر هذه الأهداف ثم مناقشتها والرد عليها، وإظهار الرأي الراجح لهذه الشبهات في الأهداف.

قائمة المصادر والمراجع

١- البهنساوي، سالم علي، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، **تهافت العلمانية في الصحافة العربية**، (الطبعة الأولى)، المنصورة.

٢- الجبري، عبد المتعال مُحَمَّد، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)، **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري**، (الطبعة الأولى)، القاهرة.

٣- الجندي، أنور، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، **سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية**، (الطبعة الثانية)، بيروت.

٤- الحصين، أحمد بن عبد العزيز، (١٩٩٦م)، **الخطر التبشيري الصليبي في الكويت**، (الطبعة الأولى)، د.م.

٥- الحصين، أحمد بن عبد العزيز، (٢٠٠٤م)، **سلسلة ماذا تعرف عن**، (الطبعة الثالثة)، د.م.

٦- حمدان، نذير، **مستشرقون سياسيون- جامعيون- مجمعيون**، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، (الطبعة الأولى)، الطائف.

٧- درويش، أحمد، (١٩٩٧م)، **الاستشراق الفرنسي والأدب العربي**، (د.ط)، مصر.

٨- دنفر، فون دنفر، ترجمة: سالم المولى، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م)، **التغلغل الصليبي في منطقة الخليج**، (د.ط)، د.م.

٩- زقزوق، محمود حمدي، (د.ت)، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، (د.ط)، القاهرة.

١٠- الزيادي، مُحَمَّد فتح الله، (١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م)، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، (الطبعة الأولى)، ليبيا.

١١- السباعي، مصطفى، (د.ت)، **الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)**، (د.ط)، د.م.

١٢- السعدي، إسحاق بن عبد الله، (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م)، **دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه**، (الطبعة الثانية)، قطر.

١٣- شايب، لخضر، (د.ت)، **نبوة مُحَمَّد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر**، (د.ط)، د.م.

١٤- صالح، سعد الدين السيد، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، (الطبعة الأولى)، القاهرة.

١٥- صبرة، عفاف، (١٩٨٥م)، **المستشرقون ومشكلات الحضارة**، (د.ط)، د.م.

١٦- العاني، عبد القهار داود عبد الله، (١٤١٢هـ- ٢٠٠١م)، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، (الطبعة الأولى)، عمّان.

١٧- عميرة، عبد الرحمن، (د.ت)، **الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق**، (د.ط)، بيروت.

١٨- غالي، وائل، (٢٠٠٧م)، **ما بعد الاستشراق**، (د.ط)، د.م.

١٩- غراب، أحمد عبد الحليم، (١٤١١هـ)، **رؤية إسلامية للاستشراق**، (الطبعة الثانية)، د.م.

٢٠- فؤاد، عبد المنعم، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، (الطبعة الأولى)، الرياض.

٢١- قطب، مُحَمَّد، (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، **المستشرقون والإسلام**، (الطبعة الأولى)، القاهرة.

٢٢- الكبيسي، عبد الغني، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، **أساسيات الثقافة الإسلامية**، (الطبعة الثانية)، الكويت.

٢٣- مُحَمَّد، إسماعيل علي، (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، (الطبعة الثالثة)، د.م.

٢٤- مطبقاني، مازن بن صلاح، (د.ط)، **المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق**، بحث، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٥- مطبقاني، مازن بن صلاح، (د.ط)، **الاستشراق**، بحث، المملكة العربية السعودية، د.ت.

٢٦- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير- الاستشراق- الاستعمار**، (الطبعة الثامنة)، دمشق.

٢٧- النشواتي، مُحَمَّد نبيل، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، **الإسلام يتصدى للغرب الملحد**، (الطبعة الأولى)، دمشق.

٢٨- نصري، أحمد، (٢٠٠٩م)، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، (الطبعة الأولى)، المغرب.

٢٩- النملة، علي بن إبراهيم الحمد، (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، **الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم**، (الطبعة الأولى)، الرياض.

٣٠- النملة، علي بن إبراهيم الحمد، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، **الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها**، (الطبعة الأولى)، لبنان.